الحل السديد

لما استشكله المريد

للعارف بالله تعالى المرحوم سيدي محمد الهاشمي قدس سره.

ويليها ملحق بسيط

للاستاذ

محمد سعيد البرهاني

الطبعة الاولى

بإشراف الأستاذ محمد سعيد البرهاني

توزع مجاناً محبة في رسول صلى الله عليه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام التامان الأكملان على مفخرة العالم وسيد ولد آدم ، صاحب المقام المحمود واللواء المعقود : سيدنا ومولانا محمد وعلى إخوانه ساداتنا الأنبياء والمرسلين وآل كلٍ وصحب كلٍ ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

أما بعد فبناء على وفاة شيخنا ومرشدنا مربي المريدين ، والدال على الله بأقواله وأفعاله ، فرع شجرة النبوة الطاهرة ، شعراني زمانه سيدي محمد الهاشمي رحمه الله تعالى ـ أحببنا أن نطبع مالدينا من رسائله المخطوطة إحياء لذكراه المباركة ، وأول مابدأنا به الآن هذه الرسالة المسماة ـ بالحل السديد لما استشكله المريد ـ فنسأل الله تعالى المنّان أن ينفع بها قارئها ومقرئها كما نفع ببقية مؤلفات استاذنا المرحوم إنه سبحانه قريب مجيب .

محمد سعيد البرهاني

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه المبين « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » والقائل « واتبعْ سبيلَ مَنْ أنابَ إليّ » ، الذي لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله اليه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) والقائل (الدين النصيحة) قلنا : لمن؟ قال (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين . أما بعد : فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن أحمد بن الهاشمي بن عبد الرحمن التلمساني : قد سألني أخونا في الله العارف بالله الأستاذ الجليل سيدي الشيخ عبد القادر علي إمام المنصورة عن مسائل قد تقع لمن يدخل في الطريق فيستشكلها وربما تكون سبباً لوقوفه عن السير إلى الله تعالى، أو رجوعه من الطريق، أو تكون سبباً لحرمانه من خير أهل زمانه لأنها تكون سبباً لعدم صحبته لأحد من أهل الطريق ، لأنه يخاف إن أخذ العهد عن شيخ ولم يوصله إلى مطلوبه فيقع بين أمرين : إما أن يصبر على حاله إلى أن يموت جاهلاً بربه ، وإما أن ينكث عهده بانتقاله إلى شيخ غيره ، وكل منهما صعب عليه فيختار البقاء على ماهو عليه من عدم صحبة أحد من أهل الطريق حتى لا يقع في هذه الورطة ، فيكون شيخه الشيطان ويحرم من خير أهل زمانه لأنه يظن أن انتقاله من طريق إلى طريق أخرى لا يجوز مطلقاً ولا يجوز الجمع بين طريقين مطلقاً، ويَعُدّ ذلك نقضاً لعهد شيخه الأول مطلقاً ويتوهّم عدم انتفاعه بالأول والثاني ،

وربما يكون المتمسك بهذا الكلام من أهل العلم فيزيد على الأول مجادلة بنصوص يدافع بها عن نفسه ويوهم بها غيره فيظنها حجة له وما هي إلا حجة عليه . والمسألة عند القوم رضي الله عنهم فيها تفصيل يأتي بيانه في أثناء الجواب إن شاء الله تعالى .
وسميتها : برسالة الحل السديد لما استشكله المريد ـ من جواز الأخذ عن مرشدين لقولهم : ماأفلح مريد بين شيخين .

وهذا نص السؤال ويليه الجواب والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.
قال السائل الفاضل: ثم المرجو من سمو جنابكم أن توجهوا أنظاركم لمسألة أشكلت علينا وتدقق عليها النظر وتحققها وها هي : قولهم (ماأفلح متلفت ، ماأفلح مريد بين شيخين ، مريد بين شيخين كالمرأة بين الرجلين ، لايفتح على مريد التفت إلى طريق آخر من الطريق الأول وربما كان أخذه لطريق ثان قاطعاً من القواطع بل لفتته إلى ذلك تعدُّ عند الصوفيين عاقة عظيمة عن غاية السعادة) .

أقول : هذا كلام حق في نفسه ولكنه مجمل ومبهم فيحتاج إلى تفصيل وايضاح ليزول إبهامه ، وايضاحه يتوقف على بيان المريد من هو ؟ والشيخ من هو ؟ والطريق ماهي ؟ والمقصود للمريد ماهو ؟ إذ لا بد في طريق الوصول إلى معرفة الله بالشهود والعيان من أن يكون الذكر واحداً والفكر واحداً والمرشد واحداً ، وأن يكون للمريد محبة للشيخ واحترام له وتعظيم لحقه وحسن الظن به ، وأن يكون مطلوب المريد والشيخ واحداً بأن يتوافق نية المريد وهمة الشيخ ،فاذا اتحدت هذه الأمور ووجدت فيها بالفعل فمجرد خطور الالتفات يضر المريد الحقيقي ، وإذا تمكن منه الالتفات يكون قاطعاً له بلا شك .

قال الشيخ الأكبر في مواقع النجوم : فاذا كنت بين يدي شيخ محفوظ في عموم أحواله، ورِع قد شُهد بفضله وقيل به ، وحاله يطابق ماشُهد فيه وتجد في نفسك الاحترام له والتعظيم لحقه الذي هو أصل منفعتك ونجاتك على يديه. فإن

حرمت احترامه فاطلب غيره فانك لاتنتفع به أصلاً مالم تصحبه بالحرمة ، ولو كان أفضل الناس وأعلم الناس، ولا تسيء به الظن فانك لاتنتفع به أبداً. فاذا وجدت من تحصل في نفسك حرمته فاخدمه وكن ميتاً بين يديه يصرفك كيف شاء لاتدبير لك في نفسك معه تعش سعيداً ، وكن مبادراً لامتثال ما يأمرك به وينهاك عنه، فان أمرك بالحرفة فاحترف عن أمره لا عن هواك ، وإن أمرك بالقعود فاقعد عن أمره لا عن هواك ، فهو أعرف بمصالحك منك وأرغب الناس إلى الله في مصالحك على يديه منك ... إلى آخر كلامه رضي الله عنه فانظره فانه نفيس . وأما إذا كانت الطريق طريق تبرك والشيخ ينقصه بعض شروط الإرشاد ، أو تعدد مطلوب المريد أو خالفت نية المريد همة الشيخ وتعدد الزمن ، أو فارق شيخه بموت أو غيره من حوادث الزمان وكان لم يتمم سيره إلى الله في الطريق ولم يحصل مقصوده من الطريق على يده فيجب عليه صحبة من يتمم له سلوكه ويوصله إلى مطلوبه من الطريق ، ولا يجوز أن يبقى مربوطاً بالأول طول عمره ولو أدى ذلك إلى موته جاهلاً بربه ويزعم أن ذلك هو المقصود من الطريق . كلا فان المقصود من الطريق الوصول الى المطلوب ، فطريق بلا وصول وسيلة بلا غاية . والطريق جعلت للسير فيها بقصد الوصول إلى مطلوبه لا للمكث والاقامة فيها ولو أدى ذلك إلى موته جاهلاً بربه . والمراد بالمريد الحقيقي وهو الذي سلم نفسه مباشرة بالفعل للشيخ المرشد الحي في أيام السير الى الله تعالى ليسلك به الطريق إلى أن يقول له : هاأنت وربك. فيصير المريد مراداً ، وهكذا يكون مدة أيام دخول المريد الحقيقي الخلوة على يد الشيخ الحي المسلك بنية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالشهود والعيان . ففي مدة الخلوة لايجوز له الالتفات إلى غيره ولو بقلبه ولا أن يتكلم مع أحد ولا الخروج إلى السوق ولا مباشرة أهله وماله إلا إن أذن له بذلك، ولا أن يراجع غير شيخه في أمر ما فضلاً عن كونه يدخل في طريق أخرى ولو بقي في هذه طول عمره ، فاذا انتهى سيره الى الله تعالى وصار سيره في الله بالله لله فيكون حينئذ

مراداً عبداً لله حراً مما سواه ، فله حينئذ أن يفتش بين الطرق المشهورة بالمعرفة ، فاذا وجد طريقاً أقرب الى الله مما عرَف أو أرقى مما عرف فله أن ينتقل اليها بعد مشاورة شيخه الأول إذا كانت الطريقة الثانية أرقى كما إذا أوصله شيخه الأول الى الفناء في الأفعال، أو الفناء في الصفات، أو الى المراقبة ووجد من يوصله الى الفناء في الذات والمشاهدة واشتاق الى الوصول وخاف أن يموت قبل الوصول الى مطلوبه

الوصول إلى المحبوب بنعت المجاهدة أو التحبب إلى الله بما يرضى والخلوص في نصيحة الأمة، والأنس بالخلوة، والصبر على مقاساة الأهوال ومنازلات الأحوال، والإيثار لأمره والحياء من نظره وبذل المجهود في محبوبه والتعرض لكل سبب يوصل إليه وصحبة من يدل عليه، والقناعة بالخمول وعدم سكون القلب إلى شيء دون الوصول، وهي أول منزلة القاصدين وبدء طريق السالكين » قلت » هذا التعريف شامل للمريد الحقيقي في حال مرتبتيه: الثانية والثالثة، وشامل للمريد المجازي الآتي بيانه فقوله وهي قصد الوصول إلى المحبوب بنعت المجاهدة] خاص بالمريد الحقيقي [وقوله او التحبب إلى الله بما يرضى] خاص بالمريد المجازي [وقوله والخلوص في نصيحة الأمة] خاص بمريد الخلافة [وقوله والانس بالخلوة الخ. . .] شامل لمريد الوصول إلى المعرفة ومريد الوصول إلى الخلافة. ثم قال رضي الله عنه : (والمريد من لا ارادة له دون مولاه، وهي ثلاث مراتب : ارادة التبرك والحومة وهي لمن ضعفت همته أو كثرت علائقه (قلت) وهذا لا يلزم بشرط الصحبة ولو كانت الطريق التي دخلها طريق معرفة لأن نيته التبرك فقط كما سيأتي. ثم قال وارادة الوصول إلى الحضرة وهي لأهل التجريد وقوة العزم (قلت)وهذا يلزمه شروط الصحبة لأنه مريد حقيقي. ثم قال: وارادة الخلافة وكمال المعرفة وهي لمن ظهرت نجابته وكملت أهليته وصرّح له بالخلافة من شيخ كامل أو هاتف صادق (قلت)وهذا أيضاً يلزمه شروط الصحبة ليتحقق فيه ماصرح له به من الخلافة أو سمعه من الهاتف الصادق. وأما المريد المجازي فهو الذي ليس قصده إلا الدخول مع القوم والتزيي بزيهم والانتظام في سلك عقدهم والتكثير لسوادهم، وهذا لا يلزم بشروط الصحبة، وإنما يلزم بلزوم الشرع ومخالطة الطائفة حتى تشمله بركتهم وينظر إلى أحوالهم وسيرهم لعله يسلك مسلكهم ويؤهل لما أهلوا له، ومثل هذا له أن ينتقل إلى طريق أخرى ولا حرج عليه، كما أن طريق التبرك لاحرج في الانتقال منها إلى غيرها. وقد ثبت أن للكثير من الأولياء مشايخ متعددة لولا خوف الإطالة

لذكرنا جملة منهم وذكرنا أسماء مشايخهم . ومن شاء زيادة الايضاح والبسط فليراجع المطولات من كتب القوم رضي الله عنهم .

[وقولهم مريد بين شيخين كالمرأة بين الرجلين] معناه في زمن واحد لمطلوب واحد بعقد شرعي ليكون التشبيه تاماً ، لأن المرأة إذا طلقها زوجها أو مات عنها فلها أن تتزوج بغيره بعد العدة بعقد شرعي . وهكذا وقد تتعدد أزواجها بمرور الزمان وكم امرأة لها أزواج متعددة بعضهم طلقها وبعضهم مات عنها ، ولها من كل واحد ولد أو أولاد . فلم يلزمها الشرع بتوقيف نفسها ومنعها من التزوج بغيره بعد فراقها له بطلاق أو موت. فاذا كان هذا في حق المرأة فالمريد أولى وأحق بذلك لأن مطلوبه أعز وأشرف . وكما أن المرأة لاتصبر على الزوج العنين أو العاجز عن الضروري من النفقة عليها فلها أن تطلب منه الطلاق، فكذلك مريد الله لا يصبر على الاقامة في الحجاب عن الله فيطلب من يخرق له حجاب نفسه ليتمتع بشهود ربه في دار الدنيا قبل موته . وفيما قص الله علينا من أمر سيدنا موسى وسيدنا أحمد الخضر عليهما السلام مافيه كفاية للمتأمل في آداب الصحبة والافتراق .

[وقولهم بداية النقشبندية كنهاية غيرها] فمثل هذه القولة قالها أيضاً الشاذلية في مدح طريقهم وكلهم صادقون في ذلك ، ولكن السبيل إلى معرفة صدقهم هو أن نعرف ماهي البداية عند أهل الطريق وما هي النهاية؟ فقد قال القوم رضي الله عنهم: من كانت بالله بدايته كانت اليه نهايته، وقال القوم أيضاً: ان السير إلى الله على نوعين ترقٍ وتدلٍ ، والسائر إلى الله إما مترقٍ وإما متدلٍ فنهاية المترقي بداية المتدلي ، ونهاية المتدلي بداية المترقي . قال ابن عطاء الله في حكمه : دل بوجود آثاره على وجود أسمائه، وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه، وبوجود أوصافه على وجود ذاته، إذ محال أن يقوم الوصف بنفسه فأهل الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم إلى شهود صفاته ثم يردهم إلى التعلق بأسمائه ثم يردهم إلى شهود آثاره، والسالكون على عكس هذا فنهاية السالكين بداية المجذوبين لكن لا بمعنى واحد فربما التقيا في

الطريق هذا في ترقيه وهذا في تدليه فإن كان هذا مرادهم فالأمر واضح وقد قالها كل من النقشبندية والشاذلية ، ويمكن الجمع بينهما بأن يكون مراد الجميع ماعدا هذين الطريقين وليس مرادهم بنهاية غيرها إحدى هذين الطريقين ، وحسن الظن بالجميع مطلوب . ويؤيد هذا ماسأورده عليك من تقول السادة النقشبندية في حق الطريق الشاذلية ، وماقاله الشاذلية أيضاً نفعنا الله ببركات الجميع . والحاصل أن هذا كله في الطرق التي نهايتها الوصول إلى المعرفة بالشهود والعيان كما تقدم ، وأما الطرق التي نهايتها المراقبة فيكون بدايتها من الدليل والبرهان،والطريق التي بدايتها من المراقبة تكون نهايتها إلى المشاهدة والعيان ،وبذكر حقيقة المراقبة وحقيقة المشاهدة يتبين الأرقى منها ، وبالمثال يتضح المقال . فمثال المراقبة : كمن كان أعمى البصر فأحس بوجود شخص معه ولم يره ، ومثال المشاهدة : كمن كان سليم البصر فاحس ورأى الشخص الموجود معه . قال ابن عجيبة في معراج التشوف إلى حقائق التصوف : المراقبة إدامة علم العبد باطلاع الرب ،أو القيام بحقوق الله سراً وجهراً خالصاً من الأوهام صادقاً في الاحترام وهي أصل كل خير وبقدرها تكون المشاهدة . فمن عظمت مراقبته عظمت بعد ذلك مشاهدته . . الخ . والمشاهدة رؤية الذات اللطيفة في مظاهر تجلياتها الكثيفة فترجع إلى تكثيف اللطيف فإذا ترقق الوداد ورجعت الأنوار الكثيفة لطيفة فهي المعاينة فترجع الى تلطيف الكثيف، فالمعاينة أرق من المشاهدة وأتم والحاصل أن شهود الذات لا يمكن إلا بواسطة تكثيف أسرارها اللطيفة في مظاهر التجليات إذ لا يمكن ادراك اللطيف مادام لطيفاً فرؤية التجليات كثيفة مشاهدة وردها إلى أصلها بانطباق بحر الأحدية عليها معاينة ، وقيل هما سواء.والمعرفة وهي التمكن من المشاهدة واتصالها فهي شهود دائم بقلب هائم فلا يشهد إلا مولاه ولا يعرج على أحد سواه مع إقامة العدل وحفظ مراسم الشريعة الى آخر كلامه رضي الله عنه . [وقولهم التصديق بطريق النقشبندية هذا ولاية صغرى] فهذا ليس خاصاً بهذه الطريق بل هو عام في سائر طرق الصوفية ،فالتصديق بالطريق من حيث هي ولاية صغرى فقد قال ابن عجيبة في مقدمة شرحه على الأجرومية : المقصد الأول

فيما يوجب الاغتباط بهذا العلم وأنه أحق مايوجه اليه الفكر والعزم : يكفي في ذلك أمران :أحدهما ان التضلع من هذا العلم يقي صاحبه سوء الخاتمة ويحمله على التوبة والإنابة وسلوك مايوجب الفوز بالسعادة، فقد نقل الشيخ أبو طالب المكي في كتابه: قوت القلوب ، والامام الغزالي في كتابه:الإحياء عن بعض العارفين أنه قال : من لم يكن له نصيب من هذا العلم- أي علم الباطن- أخاف عليه سوء الخاتمة .

وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله .وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصراً على الكبائر وهو لا يشعر . الثاني أنه سبب كل خير وفوز وفتح ونور،وبه تكثر الحسنات ويرتقى بفضل الله إلى أعلى الدرجات لأن الاشتغال بطريق القوم سبب التصديق بهم،وهو سبب محبتهم، ومحبتهم تؤدي إلى الشوق إلى مجالستهم ، ومجالستهم تؤدي إلى النظر في وجوههم وفي هذا من الفضل مالايخفى . أما التصديق بطريقهم فقد تضمن ولاية الله لعبده لقول إمام الطريق أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه : التصديق بطريق الولاية ولاية. وأما محبتهم فقد تضمنت الحشر معهم لقوله ﷺ : (من أحب قوماً حشر معهم) وقوله ﷺ(المرء مع من أحب)،وأما الشوق إلى مجالستهم فقد تضمن الاتصاف بسيرتهم لقوله ﷺ (المرء على دين خليله) لأن الطباع تسرق الطباع . وأما النظر إلى وجوههم على وجه المحبة فقد تضمن خير أجر عبادة العابدين لقوله ﷺ (نظرة في وجه أخ في الله على شوق اليه خير من أجر من اعتكف في مسجدي هذا أربعين سنة) ونقل النووي في شرح المهذب عن الامام الشافعي رضي الله عنه أنه كان يقول : استفدت من الصوفية في مجالستهم شيئين :قولهم الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ، وقولهم : ان لم تشغل نفسك بالخير شغلتك بالشر . قال الشيخ الشعراني رضي الله عنه : فانظر كيف نقل الامام الشافعي رضي الله عنه ذلك عن الصوفية دون غيرهم تعرف مزيد خصوصيتهم ،ولو أن غيرهم كان على قدم الجد والاجتهاد كالصوفية لنقل ذلك عن أشياخه في العلم الظاهر قال : وكان الطبي

صاحب حاشية الكشاف يقول: لاينبغي للعالم ولو تبحر في العلم حتى صار واحد زمانه ان يقنع بما علمه ، وإنما الواجب عليه الاجتماع بأهل الطريق ليدلوه على الصراط المستقيم حتى يكون ممن يحدثهم الحق في سرائرهم من شدة صفاء باطنهم، وليخلصوه من الأدناس وأن يجتنب ماشاب عليه من كدورات الهوى وحظوظ النفس الامارة بالسوء حتى يستعد لفيضان العلوم اللدنية على قلبه والاقتباس من مشكاة انوار النبوة الخ . ثم قال : وقال الشيخ الصقلي رحمه الله في كتابه المسمى (أنوار القلوب في العلم الموهوب) كل من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة ، وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة، وكل من عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذي لايدرك والبحر الذي لاينزف، وقال آخر : إذا رأيت من فتح له في التصديق بهذه الطريقة فبشره، وإذا رأيت من فتح له في الفهم فيه فاغتبطه ، وإذا رأيت من فتح له في النظر فيه فعظمه ، وإذا رأيت منتقداً عليه ففر منه واهجره . ومامن علم إلا وقد يقع الاستغناء عنه في وقت ما إلا علم التصوف فلا يستغني عنه أحد في وقت من الأوقات . وقال في القوت : واتفقوا على أنه علم الصديقين وأن من كان له نصيب منه فهو من المقربين فوق درجة أصحاب اليمين . وقال القطب السيد عبد الله بن أبي بكر العيدروس قدس سره : عليك بحسن الظن في الصالحين وبحب محبهم وهو أعلى المراتب وأجل المواهب ولصاحبه أجمل حلية سابقة وعناية وتخصيص وهداية . وسوء الظن مذموم مطلقاً . وقال آخر : عليك بحسن الظن فانه دليل على نور البصيرة واصلاح السريرة وكفى به شرفاً لحصول السعادات ونيل الدرجات . ومن فوائده فائدة تندرج فيها كل فائدة وهو أنه يورث حسن الخاتمة ، وثمرته قد لاتظهر إلا عند خروج الروح فيفضي بصاحبه إلى السعادة المتضمنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقال ﷺ (خصلتان ليس فوقهما في الخير خصلة: حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله ، وخصلتان ليس فوقهما في الشر خصلة: سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله) . وقال الجنيد رضي الله عنه: التصديق بعلمنا هذا ولاية ، وإذا فاتتك المنة في نفسك فلا تفتك أن تصدق بها

غيرك فإن لم يصبها وابل فطل اهـ . وفي هذا كفاية لمن تدبره وبعين الانصاف لاحظه واعتبره . وبعد هذا كله من المعلوم عندكم انكم ماانتسبتم لنا إلا بعد وفاة أستاذكم المرحوم قدس الله سره فانتم لايصدق عليكم أنكم وقعتم بين شيخين حتى تصدق عليكم تلك المقالة . وقد طلبتم بعده شيخاً مرشداً نقشبندياً طلباً حثيثاً ليأخذ بيدكم في الطريق النقشبندية . فمنهم من قال لكم إني بعيد عنكم ولا أقدر أتردد عليكم وأنتم كذلك لاتقدون على التردد عليه لبعد المسافة بينكما ، ومنهم من قال لكم: إني لاأقدر على معالجتكم وملازمة الخلوة معكم . وبعدالتروي مدة والمشاورة انتسبتم الينا لارتباطنا معكم بالمحبة القديمة من زمان حياة أستاذكم المرحوم قدس الله سره ، ولما انتسبتم الينا فلم ننقلكم عن طريقكم الأولى ولا أمرتكم بتركها بل أكدت عليكم بالبقاء عليها وملازمة أورادها وختمها، وإضافة أوراد هذه الطريق لما عندكم سابقاً زيادة نور على نور . وأما كون الطريق النقشبندية أقرب من الشاذلية أو أسهل منها أو بداية النقشبندية كنهاية غيرها مطلقاً أم لا فإنا نقلنا من كلام النقشبندية والشاذلية مايزيل الاشكال في ذلك ، فهذا أمر لا تعرف حقيقته إلا بالتجربة وأنتم قد جربتم الطريقتين وعرفتم أيها أسهل وأقرب بالفعل والتجربة فنفوض لكم الحكم عليها بما عرفتم وتبين لكم بعد سلوكهما معاً ، وبعد هذا كله فلكم الإذن والخيار من جهتي بما يحلو لكم من السير على طريقتنا أو تركها فان ظهر لكم وجه الجمع بينها بمعنى تذكر أورادهما، ومن أراد — النقشبندية تلقنه إياها بمقتضى الإذن لك من استاذك النقشبندي، ومن أراد الشاذلية تلقنه إياها بمقتضى الإذن من العبد الفقير. فأنت على الحق فلا تخف من لوم أحد ولا تسيء الظن بأحد من أهل الله ، فأنت نقشي شاذلي وإن ظهر لك الاقتصار على النقشبندية فقط ولم يظهر لك وجه الجمع بينها فانك مأذون مني فيما تطمئن به نفسك ويميل اليه قلبك ولا حرج عليك منا ومالنا مراد إلا نفعك وخدمتك لله تعالى لانريد منك جزاءاً ولاشكوراً، والله على مانقول وكيل وهو يقول الحق وهو يهدي السبيل . وهاهي بعض أقوال

السادة النقشبندية في الإمام الشاذلي وطريقه ، وأقوال الشاذلية أيضاً وهو مايلي :
قال العارف بالله الشيخ أحمد الكمشخانوي النقشبندي المجدد الخالدي في كتابه: جامع الاصول في الأولياء وأنواعهم وأوصافهم وأصول كل طريق المطبوع بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر سنة ١٣٣١ هـ في صحيفة — ٥ — اعلم أن لكل من الأولياء خصوصية وهمة في الحياة والممات كنقش الحقيقة، والإلقاء في بحر الوحدة والفناء، والاستغراق لشاه نقشبندي محمد بهاء الدين ، وقوة التصرف والإمداد لعبد القادر الجيلاني وقوة العلم والواردات لعلي أبي الحسن الشاذلي الخ ثم قال أيضاً في صحيفة ١٢ وأما الانتساب فاعلم أن الأخذ والانتساب إلى الطرق وغيرها على أربعة أقسام: احدها أخذ المصافحة والتلقين للذكر ولبس الخرقة والعذبة للتبرك أو للنسبة فقط . وثانيها أخذ رواية وهي قراءة كتبهم من غير حل لمعانيها وهو قد يكون أيضاً للتبرك أو للنسبة فقط . وثالثها أخذ رواية وهو حل كتبهم لإدراك معانيها كذلك فقط . ورابعها أخذ تدريب وتهذيب وترق في الخدمة بالمجاهدة للمشاهدة والفناء في التوحيد والبقاء وهو المراد العزيز وجوده ، وعلى هذا معول أكثر الطرق خصوصاً النقشبندية والشاذلية . ويصح الانتساب أيضاً بالاتباع والمشاركة ولو في شيء يسير مع المحبة لهم كتلاوة حزب من أحزابهم ولذا قال الشاذلي: من قرأ حزبنا هذا فله مالنا وعليه ماعلينا يعني فله مالنا من الحرمة وعليه ماعلينا من الرحمة، أو أعم منها، وهذا جار في الكل اهـ بحروفه، وقال أيضاً في صحيفة ١٧: أما الصحبة وآدابها فاعلم أن للصحبة ثلاث فوائد: الاولى أن صحبة أهل الخير تمنع المريد عن الانقلاب والعود إلى البطالة وتبعد النفس عن التشوق إلى المعاصي ، فإن البعد عن المعاصي يثقل فعلها على النفس، والقرب من الطاعة يهون أمرها على النفس ، فببركة الصحبة وقوة الروحانية القدسية يسهل أمرها عليه . الثانية إن علم القلوب لايصاد إلا بالصحبة، فإن من تحقق بحالة لم يخل حاضروه منها والطبع يسرق من الطبع من حيث لايعلم ، والمرء على دين خليله ، والمؤمن مرآة أخيه ، وما كان من المرئيات انطبع في المرآة المقابلة

لها ولذا كان معول الشاذلية والنقشبندية على الصحبة ا هـ منه بحروفه . وقال الشاذلي: من أراد عز الدارين فليدخل في مذهبنا هـذا يومين قيل: كيف لي بذلك ؟ قال : فرّق الأصنام عن قلبك وأرِحْ من الدنيا بدنك ثم كن كيف شئت فان الله لن يدَعَك، فان جاءك شيء من الدنيا بعدُ فلا تنظر اليه بعين الرغبة ولا تصحبه بالرهبة ولا تجلس معه إلا بالواجب العلمي في صرفه أو إمساكه ا هـ من بحروفه ، وقال أيضاً في الصحيفة نفسها بعد كلام : وقال الشاذلي: وسَمْتُ السعادة في رَجُلٍ عرف الحق فتواضع لأهله وإن عمل ما عمل ، وَوَسْمُ الشقاوة في رجل جحد الحق وتكبر على أهله ولو عمل ما عمل ا هـ منه بحروفه ، وقال أيضاً في صحيفة (٨٣): وأما سلسلته فانه لبِسَ الخرقة من الشيخين الإمامين أبي عبد الله عمر بن الشيخ أبي الحسن المعروف بابن حرازم ومن الشيخ أبي عبد الله عبد السلام بن مشيش والأول منسوب إلى الصِّدّيق الأعظم والثاني إلى علي بن أبي طالب من جهة الطريق . ثم قال أيضاً: وأما رحلته واجتماعه بالمشايخ فانه انتقل إلى مدينة تونس وهو صبي صغير وتوجه إلى بلاد المشرق وحج حجات كثيرة ودخل العراق، قال لما دخلت العراق اجتمعت بأبي الفتح الواسطي فما رأيت في العراق مثله وكان بالعراق شيوخ كثيرة ، وكنت أطلب القطب فقال لي هو في بلادك فرجعت إلى بلاد المغرب إلى أن اجتمعت بأستاذي أبي محمد عبد السلام وهو ساكن مغارة برباط في رأس جبل فاغتسلت في عين أسفل الجبل وخرجت عن علمي وعملي وطلعت اليه فقيراً وإذا به هابط إليّ فقال مرحباً ياعليّ وذكر نسبي إلى النبي ﷺ (وأما طريقته) فجاء في طريق الله بالاسلوب العجيب والمنهج الغريب والمسلك العزيز القريب ،وجمع في ذلك بين العلم والعمل والحال والمقام والهمة والمقال، واشتملت طريقته على الجذب والمجاهدة والعناية، واحتوت على الأدب والقرب والتسليم والرعاية ، وشيدت بالعلمين الظاهر والباطن وسائر الهداية والأسرار والكرامة والقرب .وكان مبنى طريقته على طلب العلم وكثرة الذكر والحضور فكانت بهذا الاستحضار الذي هو الجمع أسهل الطرق وأقربها بعد النقشبندية ،وليس

فيها كثرة المجاهدة ، لأن ما في النفس من النور الأصلي يتعاضد ويقوى بنور العلم أو بنور الذكر وبالغ سداد طريقهم وقوة يقينهم وكثرة عرفانهم وفتحهم وكثرة أنوارهم وذكاء قلوبهم مع غرق كثير منهم في الاسباب وتلبسهم ظاهراً بأحوال العوام. فتراهم أبداً محفوظين في أحوالهم محافظين على أعمالهم ، وقد انفتق في قلوبهم أسرار العلوم ولاح لهم حقائق الحكم والفهوم فترى أحدهم في صورة العاصي وهو يلهم بالحقائق وينطق بالحكم والدقائق مما يعز وجودها لأرباب الانقطاع والخلوات وأهل التجلي والمشاهدات.

(رباعي في مدحهم)

تمسك بحب الشاذلية تلق ما ... تروم فحقق ذاك منهم وحصل

ولا تعدون عيناك عنهم فإنهم ... شموس هدى في أعين المتأمل

وقال الشيخ قدس الله سره (قلت يارب لم سميتني بشاذلي ولست بشاذلي فقيل يا علي ما سميتك بالشاذلي إنما أنت الشاذلي - بتشديد الذال المعجمة - يعني المفرغ لخدمتي (وأما وصفه) فقال محمد المغربي: أعطي الشاذلية ثلاثاً لم تحصل لمن قبلهم ولا لمن بعدهم، الاول: أنهم مختارون من اللوح المحفوظ الثاني: أن المجذوب منهم يرجع إلى الصحو. الثالث أن القطب منهم إلى يوم القيامة .وقال: أعطيت سجلاً مد البصر، فيه أصحابي، وأصحابي إلى يوم القيامة عتقاء من النار . وقال: لقد جئت في هذا الطريق بما لم يأت به أحد اه . وقال أيضاً في صحيفة ١٢٣ قال شمس الدين الحنفي خصت الشاذلية بثلاث فذكر منها أنهم مختارون من اللوح المحفوظ ثم قال: ولذا قال أبو العباس : بنى المعجم مذاهبهم على التجريد فلا يصلون إلى الحق إلا في آخر رمق، والمغاربة بنوا طريقهم على الاستهلاك فلا ينعمون بالحق في هذه الدار، أبداً، وأهل اليمن بنوا طريقهم على رؤية الحق والفناء فيه بأول قدم فهم ينعمون من أول قدم وعلى هذا طريق الشاذلية والنقشبندية فهو حق قال عليه السلام (الإيمان يمان والحكمة يمانية وإني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن. الحديث).

مقال في لطائف المنن : كان مبنى طريق الشاذلي والنقشي على الجمع على الله ، وعدم التفرقة وملازمة الخلوة والذكر ، وقال : لكل مريد سبيل يحمله عليه فيسلك كل واحد بالسبيل الذي يناسبه ، وكان يأمر أصحابه بالجميع على محبته وكان لا يأمر أحداً بترك حرفته أو تجارته بل يعرفه الطريق وهو باقٍ على حاله وكان يكره كل من ينادي على سر صاحبه بالافشاء وكان يقول عن شيخه : اصحبوني ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري فان وجدتم منهلاً أعذب من هذا المنهل فردوا ، وكان لا يحب المريد الذي لا سبب له . وكان أبو العباس يحث على الحرفة ويقول : عليكم بالسبب وليجعل أحدكم مكوكه سبحته أو تحريك أصابعه بالخياطة ه . وقال أيضاً في صحيفة ١١٩ : وأما علم الأحوال والمنازل وما يجري مجراه وهو الذي اختص به أهل (كذا بالأصل) الفن فللناس فيه طريقان : طريق رؤية الحق من أول قدم والعمل على ذلك بالانحياز إليه وهو طريق الشاذلية والنقشبندية ومن نحا نحوهم من غيرهما ، وطريق رؤية النفس واطلاع الحق عليها والعمل على ذلك وهي طريق الغزالي والسهروردي ومن جرى مجراهم وكل مستند لحديث (أن تعبد الله كأنك تراه) وهذا للأولى فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا للثانية فتبصر اه منه بحروفه . قلت وهذا الذي نقلته من كتاب جامع الاصول للكمشخانوي هو بعض مما هنالك مما يتعلق بالإمام الشاذلي وطريقه . وأذكر شيئاً من كلام الشاذلية فيما يلي - قال ابن عجيبة في شرحه على المباحث الأصلية في صحيفة ١٦٨ : قال بعض الحكماء : من سار إلى الله بطبعه كان وصوله أقرب إليه من طبعه ، ومن سار إلى الله بالبعد من طبعه كان وصوله على قدر بعده من طبعه وذلك يقتضي الاستهلاك قبل الوصول ، فلا يتنفع برؤية الحق إلا في آخر نفس من وجوده إن وجد وإلا فهو بعيد في دعواه محجوب برؤية نفسه . ثم قال : قلت وطريق الشاذلية ممن سار إلى الله بطبعه فكان وصولها أقرب إليهم من طبعهم لأنهم بدؤا أصولهم وطريقهم على رؤية الحق والفناء فيه بأول قدم حسبما استقريء من أحوالهم . فهم يتنعمون برؤية الحق في أول قدم ، ولذلك قال

القطب ابن مشيش رضي الله عنه: من دلك على الدنيا فقد غشك ومن دلك على العمل فقد أتعبك ومن دلك على الله فقد نصحك. فالدلالة على الله هي الفناء فيه والانحياش إليه والغيبة عما سواه وعلى هذا بنت الشاذلية طريقهم حققنا الله بمعرفتهم آمين. وقال أيضاً في شرحه المذكور صحيفة ١٣١ العلم الرابع: علم الأحوال والمقامات والمنازلات ومخادع النفوس ومكايدها وما يجري مجرى ذلك من آداب ومعاملات وهذا يختص به أهل هذا الفن والناس فيه طريقان: طريق رؤية الحق من أول قدم والعمل على ذلك بالانحياش إليه وهو طريق الشاذليه ومن نحا نحوهم، وطريق رؤية النفس واطلاع الحق عليها والعمل على ذلك وهو طريق الغزالي ومن جرى مجراه وكل منها مستند لحديث (أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) فتمسكت (الشاذلية) بصدر الحديث، والغزالية بآخره وهذه الطريقة تسمى طريقة البرهان لأنها طريقة الترقي لانها أولاً تستدل بالاثر على المؤثر ثم ترتقي إلى معرفة العيان بخلاف الطريقة الاولى (الشاذلية) إنما اشتغلت بتصفية الروح فاذا تصفت وتطهرت زال الحجاب. ثم قال. قلت وطريق الشاذلية الحقيقية من تأملها وجدها جمعت بين الطريقين: طريق الإشراق وطريق البرهان لأن أشياخها الكمل يدلون أولاً على اتقان الشريعة والفناء في العمل بها ثم على اتقان علم الطريق ثم على الحقيقة ثم قال قلت: وأنا عبد الله كنت إذا لقنت أحداً الورد علمته ما يلزمه من إتقان طهارته الصغرى والكبرى وعلمته التيمم واتقان الصلاة، وإذا كان أمياً علمته ما يلزمه من عقائد التوحيد إجمالاً. فأصحابنا كلهم - والحمد لله - على بصيرة في دينهم مع ما زادهم الله تعالى من التنوُّر والأذواق وهي طريق الارشاد فاصغرهم يناظر نحياء طلبة العلم الظاهر حسبما استقريناه من أحوالهم وما اطلعنا عليه من أسرارهم والحمد لله رب العالمين اهـ. وقال في شرح المباحث الاصلية أيضاً في صحيفة ١٥٧ عطفاً على ما يلزم الشيخ معرفته من الشروط والآفات المانعة للمريدين من الوصول، وعرف أيضاً ما يحجز ويمنع الوصول إلى صريح العرفان على وفق المشاهدة والعيان وهو أمران

إما الملل من المجاهدة والسير والركون إلى الراحة والكسل ، وإما الاستغناء عن الشيخ والخروج عنه قبل الترشيد فإن ذلك يحجز بينه وبين التحقيق ويخرجه عن سواء الطريق ويرجع إلى مقام العموم نسأل الله السلامه من السلب بعد العطاء آمين هـ/ وقال أيضاً في صحيفة ١٦٣ منه وقال في لطائف المنن: إنما يكون الاقتداء بولي دلّك الله عليه واطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشريته في وجود خصوصيته فألقيتَ إليه القياد فسلك بك سبيل الرشاد يعرّفك برعونات نفسك وكمائنها ودفائنها ويدلّك على الجمع على الله والفرار مما سوى الله ويسايرك في طريقك حتى تصل إلى الله ، يوقفك على إساءة نفسك ويعرفك بإحسان الله إليك فيفيدك معرفة إساءة نفسك الهربَ منها وعدم السكون إليها، ويفيدك العلم بإحسان الله اليك الإقبال عليه والقيام بالشكر إليه والدوام على ممر الساعات بين يديه . وقال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه : الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم ، الشيخ من هذّبك بأخلاقه وأدّبك بإطراقه وأنار باطنك بإشراقه . وقال أيضاً في لطائف المنن : ليس شيخك من استمعتَ منه إنما شيخك الذي أخذتَ عنه ، وليس شيخك من واجهتك عبارته وإنما شيخك الذى سرت فيك إشارته ، وليس شيخك من دعاك إلى الباب إنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب ، وليس شيخك من واجهك مقاله إنما شيخك من نهض بك حاله، شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى ، شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك ، نهض بك إلى الله فنهضت إليه، وسار بك حتى وصلت إليه ولا زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه فزجّ بك في نور الحضرة وقال : ها أنت وربك. هناك محل الولاية من الله ومواطن الامداد من الله وبساط التلقي من الله اهـ ثم قال بعد كلام أيضاً في صحيفة ١٦٥ : وإنما يفعل بهم ذلك لأن قوة النفس معينة لصاحبها على مراده والله تعالى ينفع العبد بنيته على قدر همته ، فلذلك تجد المسالك واحداً والفتح مختلفاً ، تسقى بماء واحد ونفضل بعضها

على بعض في الأ كل . هذا في شأن الأشجار النابتة فكيف بالحقائق العرفانية؟ وما صحب أحد قط ولياً إلا نال منه ما تقضي همته ، فإن وافقت نيته همته حصل الانتظام وإلا وقع الاختلاف . ثم قال قلت : يعني أن نية المريد إن وافقت همة الشيخ وقع الانتظام في سلك الشيخ ولحق به، وإن كانت نية المريد مخالفة لهمة الشيخ بأن تكون نيته التبرك فقط أو دخل معه على حرف من الحروف وهمة الشيخ فيه الوصول فإنه يقع الاختلاف ولا ينال منه إلا ما نوى إلا إن سبقت له من الله سابقة فلا بد أن تنهضه همة الشيخ إلى ما سبق له والله تعالى أعلم . وقال أيضاً في شرحه على الحكم العطائية صحيفة ١٠٥ : ورابعها عدم الانتقال عنه إلى غيره وهذا عندهم من أقبح كل قبيح وأشنع كل شنيع وهو سبب تسويس بذرة الإرادة فتفسد شجرة الإرادة لفساد أصلها . وهذا كله مع شيوخ التربية كما تقدم، وأما شيوخ أهل الظاهر فلا بأس أن ينتقل عنهم إلى أهل الباطن إن وجدهم ، ولا يحتاج إلى اذن والله تعالى أعلم . وقال استاذنا سيدي الحاج أحمد بن مصطفى بن علي في شرحه على المرشد المعين عند قول المصنف : شرط الامام ذكر مكاف البيتين صحيفة ٢١٩ فأخبر أن الامام الذي هو كناية عن شيخ التربية الدال على الله بالله المدعي الوصول إليه يشترط فيه شروط فإن فقدت أو فقد شرط منها لا يصح الاقتداء به ولا يمكن الوصول للمريد ما دام متعلقاً به بل يكون قاطعاً عن الله من أعظم القواطع حيث كان المريد متعلقاً به لا يلتفت لغيره والله حسيب من كانت هذه صفته حيث ضيع المريدون أوقاتهم بسبب صحبته . وعليه فيطلب من المريدين أن يحافظوا على شروط الإمامة لئلا يقتدي بهم بعضهم بأدنى منه رتبة في معرفة الله الخاصة الخ فانظره. وقال أيضاً رضي الله عنه في صحيفة ٢٣٢ من الشرح المذكور عند قول المصنف :

والمقتدى الامام يتبع خلا زيادة قد حققت عنها اعدلا

وحاصل الأمر يكون تابعاً على أي حالة كان عليها لأن متابعته واجبة على

المريد ومخالفته لا تجوز بحال الهم إلا إذا تحقق لمريد وقوع الزيادة من الشيخ .
والمراد بالزيادة: أي أطال عليه في الطريق وخاف المريد قصر العمر وهو لم يصل
إلى الله واشتاق الوصول وأحس وجود الطول ، ففي هذا الحال يجوز له أن يعدل
وينفصل لكن بعد أن يخبر الشيخ بوجود الطول ويعلمه بما وقع له فإذا انصت له
فبها وإلا فليعدل عنه إلى من هو أقرب منه اه. وقال فيه أيضاً صحيفة ٢٣٧ قال القوم
رضي الله عنهم : ليس شيخك من دلك على الباب وانما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب
وقال لك: ها أنت وربك فهذا هو الشيخ الذي يجب على المريد الانقياد إليه بظاهره وباطنه.
فمن جاد على مريده بمثل هذا المعنى فلا بد من متابعته . وقد قيل: من بان عليك
فضله وجبت عليك خدمته ومن لا فلا . وقال استاذنا المرحوم المذكور في نظمه :

١ ـ نصحت كل العباد ★ خصوصاً أهل البلاد

٢ ـ فمن كان في اجتهاد ★ طالباً يريد الله

٣ ـ يأتي ولو بالتجريب ★ فله منا نصيب

٤ ـ هذا مسلك قريب ★ أتانا من فضل الله

٥ ـ ننصح له في الطريق ★ يجعلني فيها رفيق

٦ ـ نريه معنى التحقيق ★ خالصاً لوجه الله

٧ ـ يوافقني في أيام ★ لا نطلب منه أعوام

٨ ـ فإن حصل المرام ★ يكون عبداً لله

وقال الامام الشاذلي رضي الله عنه : من أراد عز الدارين فليدخل في مذهبنا
هذا يومين الى آخر ما تقدم. وقال ابن عجيبة في شرحه على المباحث الأصلية صحيفة
١٤٩ أثناء شرح قول المصنف (ذو بصر بالسير والمقيل) : أشار إلى شروط
الشيخ وأنه لابد أن يكون بصيراً بأحوال السير فيسير كل واحد على قدر طاقته
وجهده ، فليس سير الصديق كالصادق ، وليس الصادق كالمتردد ، وليس المتردد

كالمنكر، فيحمّل الصدّيق من المجاهدة والخراب والأذكار مالا يحمّل الصادق، ويحمل الصادق من ذلك مالا يحمّل المتردد، ويحتال على المنكر بالسياسة حتى يربي له الصدق. وهكذا يسير مع كل أحد من القاصدين. وقال مولاي العربي الدرقاوي في رسائله صحيفة ٦٣ ومنها: فالسبب للفقير الذي لم يترب الفربي هو عدم ارتحاله من عالم الحس الى عالم المعنى. فلو كان في عالم المعاني لتربى. إذ لا يتربى الا الموجود وهو الذي خلق في المعاني، وأما المعدوم فكيف يتصور أن يتربى وهو في العدم، فقد جرى على ألسنة الناس (حتى يُخلَق نسميه) فاذا أردت أيها الفقير أن تربي من شئت فتسبب في ولادته في المعاني حتى تحصل له، فاذا حصلت فحينئذ ربّه فانه يتربى لك الى آخر ماقال رضي الله عنه اه. وكان الفراغ منها في الحادي والعشرين (٢١) من ذي الحجة الحرام سنة ١٣٥٨ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(ملحق بسيط)

حول رسالة شيخنا

مع آداب مفيدة مأخوذة عن القوم رضي الله تعالى عنهم اجمعين

(لابد من مرشد)

لابد للمريد من أخذ الطريق عن شيخ مرشد ينهضه بحاله ويدله على الله بقاله، وفي حكم الشيخ الأكبر رضي الله عنه: من لم يأخذ الطريق عن الرجال فهو ينتقل من مُحال إلى مُحال. وقد قيل: لابد من ذكر واحد ومرشد واحد وفكر واحد. وقيل أيضاً: لابد من اجتماع واستماع واتباع حتى يكون الانتفاع.

(شروط الشيخ المرشد)

شروط الشيخ الذي يلقي المريد اليه نفسه خمسة: ذوق صريح، علم صحيح، همة عالية، حالة مرضية، بصيرة نافذة.

لله در صاحب الرائية حيث يقول :

وللشيخ آيات إذا لم تكن له ... فما هو إلا في ليالي الهوى يسري
إذا لم يكن علم لديه بظاهر ... ولا باطن فاضرب به لجج البحر

قوله : علم لديه بظاهر : يريد به العلم بظاهر الشرع قدر مايفتقر اليه هو وأصحابه من العلم الضروري من أحكام أركان الاسلام الخمسة (الشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والحج) وما يتعلق بذلك من شروط وأركان لقول بعضهم :

ولا تقتد بمن زالت شريعته ... وإن وافاك بالأنبا عن الله

قوله: ولا باطن : يريد به العلم بدسائس النفوس والاضرار التي تنشأ عنها فذلك فرض لا بد منه لمن نصب نفسه للمشيخة لأنه طبيب .

كما قال صاحب المباحث رحمه الله تعالى :

فعندما صح له التحصيل ... تيممه السقيم والعليل
فكان يبريهم من الأمراض ... والساخط القلب يصير راضي
وليس هذا طب جالينوس ... وإنما يختص بالنفوس
فهكذا الشيوخ قدما كانوا ... ياحسرتي إذ سلفوا وبانوا

ومن فيه خمسة فلا تصح مشيخته : الجهل بالدين ، وإسقاط حرمة المسلمين ، ودخوله فيما لا يعنيه ، واتباع الهوى ، وسوء الخلق من غير مبالاة. فلا يجوز أن يتصدر المشيخة من لا يستحقها ويجب أيضاً أن لا يدّعيها بدون إذن من شيخ مأذون. قال شيخنا سيدي محمد الهاشمي رحمه الله تعالى في شرحه لشطرنج العارفين صحيفة ٤٢ : من تعرض المشيخة من غير إذن مفتون ومغرور ومغبون يخشى عليه سوء الخاتمة. نقله في ابتهاج القلوب وذلك لما فيه من الجراءة على الله وادعاء الواسطة بين الله وبين العباد والخلافة عن رسله في الهداية والإرشاد اهـ فنعوذ بالله تعالى من الدعوى العريضة ومن القلوب المريضة وقد قيل : من ادعى ماليس فيه سلب .

على المؤمن أن يتقي الله في نفسه وفي عباد الله وليتذكر قول الله تعالى : (ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) .

(آداب المريد مع الشيخ)

إن من الأدب مع الشيخ أن لاينام بحضرته ، ولا يتكىء على شيء يعتمده، ولا يتثاءب لأن ذلك من عدم المبالاة بالشيخ والاحترام له ، ومن صحب المشايخ على غير طريقة الاحترام حرم مددهم وثمرات لحظاتهم . ولذلك قيل : ما حرم المريدون الوصول إلا بتركهم الآداب والاصول فطالت عليهم الطريق ، وربما مات أحدهم في أثنائها ولم يحصل له حاصل ، ومن الآداب أيضاً : ملازمة مجلس الذكر الذي رتبه الشيخ صباحاً ومساءً للمريدين،ومنها أن لايفارق مجلس وعظهوتذكيره وتدريسه فربما يفتح عليه في درس ما يَغمُرُ وجوده من العلم والعمل قال تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله) ، ومنها أن يكون بين يديه كالميت بين يدي غاسلهيقلبه كيف يشاء ، كذلك ينبغي له أن يستعمل كل أدب مع أستاذه لان إساءةالادبمع الشيخ توجب المقت من الله تعالىولذلك قيل:إنه من قال لشيخه : لِمَ ؟، أو لماذا؟ لم يفلح أبداً ، ومنها أن يعتقد أن شيخه أكمل أهلِ عصره وأحسن أهل مصره وذلك ليصح له فيه كمال النية والاعتقاد والاقتداء به في كل حالاته بدون تردد ، ولو لم ينو به ذلك لما اتجه له منه انتفاع بحال وفي الحديث (يبلغ المرء بنيتهما لا يبلغ بعمله) ، ومنها أن لا يزور أحداً من المشايخ إلا بإذن شيخه .

قال بعضهم : آداب المريد مع الشيخ خمسة اتباع: الأمر وإن ظهر له خلافه ، واجتناب النهي وإن كان فيه حتفه ، وحفظ حرمته حاضراً وغائباً حياً وميتاً ، والقيام بحقوقه حسب الإمكان بلا تقصير ، وعزل عقله وعلمه ورياسته إلا ما يوافق ذلك من شيخه .

(آداب المريد مع الإخوان)

من آداب المريد مع الإخوان أن لا يدخل عليهم الهمّ والغمّ بوجه من الوجوه، ومنها أن لا يذم أحداً من إخوانه بل يذكر محامده ويسكت عن غيرها ، ومنها أن يعتقد في نفسه أنه أحقر إخوانه ولا يرى أحداً دونه لأن خاتمة الأنفاس مبهمة على جميع الناس ، ومنها أن لا يطلب الرياسة والتقدم عليهم قبل حينها فيتأخر إلى وراء ، وإن كانت فيه أهلية الإمامة فلا يتعرّض لطلبها ، ومنها أن لا يطلب التقدم في افتتاح الذكر إلا إذا أقامه الأستاذ فحينئذٍ يتعين عليه القبول والقيام بذلك ؛ ومنها أن لا يصادق من أعلن بعداوة إخوانه لأنهم بمنزلة الذات الواحدة فكل ما يؤلم بعضهم يؤلم جميعهم ، ومنها أن لا يتخلف عن حضور مجالس الإخوان بدون عذر فإنه يحرم من خير ذلك الاجتماع،فينبغي للمتخلف أو المتسبب لتخلف بعض الإخوان أن يقدم الجزاء هضماً لنفسه وإظهاراً لتقصيره وطلباً لرضا إخوانه وتسبباً لدعائهم له فإن رضوا عنه ودعوا له فإن الله تعالى لا يحرمه من خير ذلك الاجتماع.

واعلم يا أخي أن الجمع رحمة والفرقة عذاب . وقد قال القوم رضي الله تعالى عنهم : من لم يحضر معهم في أوقات جمعهم وذكرهم ومذاكرتهم من غير عذر حتماً يسقط من أعينهم ومن يسقط من أعينهم حتماً يسقط من عين الله تعالى . وأيضاً فإن الفقير يحصل من الجمع الخير والثواب الكثير بل والفتح الكبير مالا يحصل له منفرداً مدة عمره ، ولهذا يحرّض أهلُ الطريقِ المريدَ على الاجتماع وعدم الافتراق ، ويجتهدون في طلب الأسباب الميسرة له ويجتنبون الأسباب المانعة عنه ، كالتكلف في إحضار الأكل والشرب فإنه ربما يكون سبباً لعدم الاجتماع ، نعم إن حضر أكلٌ وشربٌ من عند الله تعالى بلا كلفةٍ لأحدٍ فلابأس به .

(الأسباب التي تسهل الفتح للمريد)

من الاسباب المسهلة للفتح التقيد بالشرع الشريف،لذلك قالوا:السنة في حق غير المريد هي واجب في حق المريد،والواجب في حق غيره فرض في حقه،والمكروه في حق غيره حرام في حقه وقالوا : من تعدى الحدود فهو عن الحضرة مطرود ، ولا يرتجي الوصول من لم يتابع أثر الرسول . كان ﷺ الشريعة أقواله والطريقة أفعاله والحقيقة أحواله .

ومن الاسباب أيضاً التواضع ولين الجانب فقد قيل : طرق الحق لا تحصى بالاكثار وأقربها إليه الذل والانكسار لذلك قالوا :

التصوف حفظ شرائع الدين وسلب الارادة لرب العالمين، وقيل أيضاً: ما اجتمعت الشريعة والحقيقة في فرد أو في جماعة إلا ونالوا السعادة الابدية وما انفردت الشريعة أو الحقيقة في فرد أو في جماعة إلا حرموا .

(آداب الحضرة والذكر مجتمعاً)

منها أن يتحلق الاخوان حلقة محكمة لا يتركوا فرجة بينهم لئلا يدخل الشيطان فيها بالوسوسة ومنها أن يكونوا أثناء الذكر مغمضي أعينهم ملقين عن بالهم كل شيء من العلائق سوى محبوبهم جل جلاله بحيث يحضرونه سبحانه بقلوبهم واسم (الله) تارة على ألسنتهم أو الذكر الصدري (اه) بصدورهم،ومنها أن يراعي المقدم في الحضرة أحوال الاخوان وحركاتهم وإنشادهم،وينبغي المنشدين أن يأتوا بالانشاد الذي يناسب حال الحضرة من خفة وثقل يشوقون إخوانهم الذاكرين إلى المذكور فيغيبوهم بذلك عن أنفسهم ، ومنها أن لا يطولوا مدة الحضرة خوفاً من الملل سيما في ليالي الصيف لخوف فوات فريضة الصبح جماعة،ومنها أنه إذا ختم الشيخ الحضرة أن لا يسارعوا

إلى الجلوس قبله لأن ذلك مخل بالتعظيم، ومنها أن يجلسوا مغمضي الأعين برهة يسيرة لأن ذلك أجمع لقلوبهم، ومنها أن يتركوا شرب الماء لئلا يطفؤوا به نور الذكر ثم يقرأ أحسنهم صوتاً وتجويداً عشراً من القرآن الكريم ثم بعد ذلك يذاكرهم الشيخ بما يفتح الله تعالى وبعد التمام يدعون ويقومون للمصافحة .

(الأمور التي يستحق المريد التأديب عليها)

١ — إذا اشتكى الفقراء من سوء خلق المريد أو تكبره عليهم ونهاه الشيخ عن ذلك ولم ينته .

٢ — إذا كان مُظهِراً كمال عقله وحسن رأيه على شيخه .

٣ — إذا ترك حضور مجلس شيخه المعدّ الذكر أو الوعظ لغير معذرة .

٤ — إذا كان تاركاً احترام شيخه أو مزدرياً بإخوانه أو مستهزئاً بهم .

٥ — إذا كان يثني على غير شيخه من مشايخ عصره بحضرة الاخوان سراً أو جهراً فإن ذلك يدل على عدم اعتقاده في شيخه فيستحق الحرمان منه .

٦ — افتتاحه الذكر بجماعة من إخوانه بدون إذن من الشيخ .

٧ — إذا كان يستحسن طريقاً من الطرق غير طريق شيخه أو كان منهمكاً في الشهوات .

في هذه الصور يستحق التأديب بقصد إصلاح الاخوان. واعلموا أن الشيخ لا يطرد التلميذ بالقول بل إنما إذا تغير عليه قلب الشيخ انقطع عنه المدد الإلهي فيحصل للمريد قبض ثم ينقطع ، كمثل شجرة انقطع عنها الماء فإنها تذبل وتذبل وتذبل حتى تيبس نعوذ بالله تعالى من المنع بعد العطاء فلذلك قيل :

أيها المعرض عنا ... إن إعراضك منا
لو أردناك جعلنا ... كل ما فيك يردنا

وجاء أيضاً :

إن ترد وصلنا فموتك شرط ... لا ينال الوصال من فيه فضله

فعلى المريد أن يكون صادقاً لله تعالى في نيته وقصده، صادقاً في محبته شيخه، صادقاً في صحبة إخوانه فان الله تعالى لا بد أن يكرمه قال تعالى: (وما كان عطاء ربك محظوراً) وقال : (إن يَعْلَمِ الله في قلوبِكم خيراً يؤتِكم خيراً) ، ولله در القائل :

إنما الناس حديثٌ كلهم ... فلتكن خيرَ حديثٍ يُسمع
وإذا شاكتك منهم شوكةٌ ... فلتكن أقوى مِجَنٍّ يَدْفعُ
إنما الشمعةُ تؤذي نفسها ... وهي للناظر نورٌ يسطعُ
وإذا ما كنتَ فيهم هكذا ... أنت والله إمامٌ ينفعُ

آداب مختلفة

١ ـ عليك بذكر الله في السر والعلن وفي الملأ وفي نفسك فإن الله تعالى يقول: (فاذكروني أذكركم) فكفى بك قدراً إذا كان الله لك ذاكراً مادمت له ذاكراً.

٢ ـ أكثر من ذكر كلمة الإسلام (لا إله إلا الله) فإنها أفضل الأذكار لحديث(أفضل ماقلته أنا والنبيون من قبلي :لا إله إلا الله) وفي الحديث القدسي: (لو أن السماوات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله) .

٣ ـ إذا كنت في مجتمع فعُدَّ نفسك أقلّ الحاضرين،لأن الذي هو أكبر منك سناً قد سبقك إلى طاعة الله ، ومن هو أصغر منك سناً فقد سبقته أنت إلى المعاصي .

٤ ـ إياك ومعادات أهل لا إله إلا الله فإن الله أكرمهم بنعمة الإيمان خصوصاً الصالحين منهم. يقول الله تعالى في الحديث الصحيح (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).

٥ ـ إياك أن تخطو خطوة أو تأكل لقمة أو تتحرك حركة إلا وأنت تنوي بها قربة إلى الله .

٦ ـ عليك بعيادة المرضى لما فيها من الاعتبار والذكرى فإن المريض قريب من الله. ألا ترى أن المريض ماله استغاثة إلا بالله ولا ذكرى، إلا لله، وهيئته تذكرك نعمة العافية .

٧ ـ إذا خيف ضياع وقت صلاة على جماعة فتساهلوا وقالوا: نحن الآن في الحضرة لأنا واصلون فتباعد عنهم أشد البعد لأنهم وصلوا إلى سقر وبئس المهاد .

٨ ـ لا تذهب إلى ضيافة بلا دعوة حتى لا تأكل حراماً، لأن كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به .

٩ ـ لا تقتصر على العبارات ولا على الاشارات بل تزود لآخرتك قبل حلول المنون، حيث تذهب العبارات والاشارات ولا يبقى الا ركعات ركعتها في ليل أو نهار .

١٠ ـ إياك والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، ومن ظلم العباد أن تمنعهم حقوقاً أوجب الله عليك أداءها إليهم .

١١ ـ لا ترد سائلا ولو بكلمة طيبة كقولك: ارجع إلي في وقت غير هذا، ولا تقل له الله: يبعث لك لأنها أكره كلمة يسمعها الفقير .

١٢ ـ أكرم اليتيم وارحم الارملة وراع حق الجوار تكن عند ربك مرضياً وعند الناس محترماً .

١٣ ـ عليك بمراقبة الله عز وجل فيما أخذ منك وفيما أعطاك، فإنه تعالى ما أخذ منك إلا لتصبر فيحبك لأنه يحب الصابرين، وإذا أحبك عاملك معاملة المحب لمحبوبه وكذلك إذا أعطاك فإنه أنعم عليك لتشكر وإنه تعالى يحب الشاكرين .

١٤ ـ أدب أولادك بآداب اسلامية ليكونوا في كبرهم مسلمين يحبون الاسلام ويحترمون دين الاسلام .

١٥ ـ احذر يا أخي أن تريد علواً في الأرض، وعليك بالتواضع مهما أعلى الله منصبك لأنه تعالى إنما أنشأك من الأرض وهي أمك فلا يليق بك أن تعلو عليها وفي الأثر (إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه) فإن كنت أنت ذلك الشيء فانتظر وضع الله إياك.

١٦ ـ إياك أن يراك الناس في مجلس فسق (فيقال عنك: هذا ابن طريق وينتسب إلى المشايخ ويعرف الحكم الشرعي فلو كان هذا منكراً لما جلس ولما فعل) فإياك ثم إياك.

١٧ ـ للنفس سبع مراتب: أولها: النفس الامارة بالسوء فإذا جاهدها صاحبها صارت لوامة (تندم اذا ارتكبت مخالفة) فإذا هذبها صاحبها صارت ملهمة (تلهم فعل الخير)، فإذا هذبها صارت مطمئنة فإذا تاجاوز قاعاصارت راضية (ترضى بحكم الله) مرضية (عند الله سبحانه) فإذا هذبها صارت كاملة. قال تعالى (قد أفلح من زكاها) وفي الحديث [رجعنا من الجهاد الأصغر (جهاد العدو) إلى الجهاد الأكبر] أي جهاد النفس.

١٨ ـ عليك بتلاوة القرآن وتدبّره وانظر أثناء تلاوتك إلى ما حمد الله من الصفات التي وصف بها أحبابه فاتصف أنت بها وما ذمّ من الصفات فاجتنبها، واجتهد أن تحفظ القرآن الكريم بالعمل كما تحفظه بالتلاوة.

١٩ ـ لا تفسر آية من القرآن الكريم برأيك بل ارجع إلى ما فهم منها سلفك من علماء شرعيين وعارفين وإن فهمت خلاف ذلك وصادم ما فهمته الشرع المطهر فاترك فهمك السقيم واضرب به عرض الحائط.

٢٠ ـ عليك بالاكثار من الصدقة النافلة فإن عليك في مالك حقاً زائداً على الزكاة المفروضة، فتزود لآخرتك وتصدق وأنت صحيح شحيح تخاف الفقر وتأمل الحياة. قال تعالى (ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون) أي الناجون.

٢١ ـ عليك بصدق الكلام إذ من أعظم الخيانة أن تحدّث أخاك حديثاً يرى أنك صادق فيه وأنت على غير ذلك .

٢٢ ـ عليك بالصدق في قيافتك ولباسك لأنه من أشد الناس جراءة على الله أن تظهر أمام عباد الله بثياب الصالحين وتبارزه سراً بأعمال الفاسقين .

٢٣ ـ عليك بأكل الحلال : لأن من أكل الحلال انصرفت أعضاؤه (من سمع وبصر ويد ورجل) إلى طاعة الله شاء أو أبى ، ومن أكل الحرام انصرفت أعضاؤه إلى المعاصي شاء أو أبى .

٢٤ ـ إياك أن تتصدق بشيء ثم ترجع به ، أو تعقد عهداً مع أحد ثم لاتوفي به .

٢٥ ـ الله الله أن تنطق بلسانك إلا بما يوافق الشرع المطهّر واعلم بأن نهاية سير الرجال الشرع المحمدي ، وكل باطن خالف الظاهر فهو باطل .

٢٦ ـ لاتطع أحداً من عباد الله ولو كان أباً أو أماً في معصية الله إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

٢٧ ـ إذا استشارك إنسان في أمر (شركة ، زواج ، دَين) فقد آمنك ووضع ثقته بك فلا تخنه أنت إن الله لايحب الخائنين .

٢٨ ـ إياك أن تبارز الله تعالى في المعصية سراً لأن من عصى الله سراً : إن كان لايعتقد بأن الله يراه فالخلل في إيمانه (وهو كافر) ، وإن كان يعتقد أنه يراه فلِمَ جعله أهونَ الناظرين إليه ؟

٢٩ ـ لاتغتبْ أحداً حرصاً على حسناتك قال بعضهم : مثل من يغتاب الناس كمثل إنسان وضع أمامه كوماً من الحجارة ثم أخذ يقذف كل حجر إلى جهة من الجهات ، والذي يغتاب الناس يرمي بحسناته إلى جهات مختلفة حتى لايبقى من حسناته شيء . قال بعضهم : لو كنت مغتاباً لاغتبتُ والديَّ لأنهما أولى الناس بحسناتي .

قد تم ما قصدت جمعه سائلاً المولى أن ينفعني به وكل من قرأه أو أقرأه إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين .

٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٨٣ **محمد سعيد البرهاني**